المقاومة المسلحة في منطقة قبائل جرجرة 1850-1857
-بوبغلة ولالا فاطمة النسومر نموذجا-

Armed resistance in Djurdjura Kabylia 1850-1857
-Boubaghla and Lalla Fatima N'Soumeur as a model-

1– مزهورة حسين الحاج صالحي*، جامعة مولود معمري تيزي وزو(الجزائر)

Mezhoura.salhi@ummto.dz

تاريخ الاستلام: 2024/04/04 تاريخ القبول: 2024/05/22 تاريخ النشر: 2024/06/27

ملخص:

مباشرة بعد محاولة غزو منطقة القبائل واجه الغزاة مقاومة قوية من آهالي جرجرة بداية من 1845 إلى 1857. وفي 1851 قاد محمد الأمجد بن عبد الملك المعروف ببوبغلة مقاومة كبيرة حيث نجح في إحياء روح الجهاد في المنطقة. قاوم حوالي خمس سنوات جعل بلاد زواوة خلالها مقبرة للعديد من ضباط الجيش الفرنسي وجنوده المرتزقة. وبعد وفاة الشريف بوبغلة سنة 1854، واصلت المقاومة ببسالة ابنة جرجرة لالا فاطمة النسومر إلى غاية شهر جويلية 1857. حيث حملت راية الجهاد من سبيل لله من أجل شعبها وأرضها.

كلمات مفتاحية: قبائل جرجرة، غزو، مقاومة، بوبغلة، لا لا فاطمة النسومر.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

Immediately after the attempted conquest of Kabylia, the invaders encountered strong resistance from the population of the Djurdjura region from 1845 to 1857. In 1851, Mohamed al-Amjad ibn Abd al-Malik, known as Boubaghla, led a great resistance and succeeded in reviving the spirit of jihad in the region. He held out for around five years, during which time he turned the Zouaoua country into a graveyard for numerous French army officers and mercenary soldiers. After Chérif Boubaghla's death in 1854, the resistance was continued by the Djurdjara's valiant daughter, Lalla Fatima N'Soumeur, until July 1857, when she carried the banner of jihad in the name of God for her people and her land.

Keywords: Kabylia of Djurdjura, conquest, resistance, Boubaghla, Lalla Fatima N'Soumeur**.**

مقدمة

واجه الغزاة مقاومة شديدة من آهالي جرجرة في الفترة ما بين 1845 و1857. و أبرز ها مقاومة التي قادها الشريف بوبغلة بين عامي 1850 و1854، حيث تمكن من تعبئة معظم القبائل لصد الزحف الفرنسي. بعده تولت لالا فاطمة النسومر قيادة المقاومة من 1855 إلى 1857. وهي أول امرأة تقود المقاومة ضد الفرنسيين في الجزائر رغم الظروف الصعبة. وما انفردت به هذه المقاومة هي الشجاعة والوعي والتضحية. ولعرض واف للموضوع، من المناسب أن نطرح الأسئلة التالية: كيف احتل الفرنسيون منطقة القبائل؟ وما هو الرد الفعل المحلي؟ وكيف واجه بوبغلة ولالا فاطمة النسومر الغزو الفرنسي؟

في هذا المقال سنتناول الاحتلال والمقاومة في منطقة قبائل جرجرة في الفترة الممتدة بين 1850 و1857. معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي السردي والتحليلي.

1. الاحتلال الفرنسي لمنطقة قبائل جرجرة:

منذ الأعوام الأولى للاحتلال، وجهت قوات الاحتلال اهتمامها نحو منطقة جرجرة، لكن دخولها تأخر بنحو سبع وعشرين سنة، وكان سبب هذا التأخير انشغال فرنسا بمحاربة مقاومة أحمد باي في شرق والأمير عبد القادر في غرب البلاد. كانت من المناطق الصعبة التي استَحال على الاستعمار دخولها.

في عام 1844، اشتد النقاش حول ذلك في الصحافة وعلى المنابر حيث ذهب البعض إلى وجود شبه دولة مستقلة بالقرب من الجزائر يشكل خطرا على فرنسا، خاصة وأن هذه الدولة كانت تحتقر سلطتها وتؤوي المجرمين والفاسدين والجهاديين[1].

1.1 بداية احتلال المنطقة:

في شهر أفريل من سنة 1844، أعاد بيجو (Bugeaud) حملته التي كان يخطط لها منذ سنتين ضد قبائل إفليسن، هذه الحملة دامت من 27 أفريل إلى 25 ماي. سمحت لجيش الاستعمار بالاستيلاء على وادي سباو. وقام بيجو معسكره بتادميت[2].

وبعد استسلام قبائل إفليسن، توجه الجيش الفرنسي لإخضاع سكان وادي سيباو، الذي أصبح بدوره نقطة انطلاق لغزو منطقة القبائل بأكملها. ومن معسكر تدمايت تمكن الضباط الفرنسيون من مراقبة الخطوط الدفاعية الرئيسية للقبائل، التي تمتد من فرعون بدراع بن خدة إلى غاية جبل سيد علي بوناب باستخدام المنظار المكبر[3].

فور استسلام عمراوة التحتانية أصبح من البديهي أن الهدف الموالي للمارشال بيجو هو إخضاع عمراوة الفواقة التي كانت تحت قيادة بلقاسم أوقاسي إلى جانب أحمد طيب بن سالم خليفة الأمير عبد القادر بالمنطقة. في سبتمبر 1844، تم الاعداد لحملة جديدة بقيادة اللواء كومان (Comman) بدلس.

انطلقت الحملة من دلس صباح يوم 28 سبتمبر باتجاه برج سيباو، وفي 30 سبتمبر مرت الكتيبة بالسبت القديم بالقرب من دراع بن خدة وكذا أولاد بوخالفة وبرج تيزي وزو حتى موقع تلاقي واد عيسي ووادي سيباو. كان هدف هذه الحملة هو التوجه إلى تامدا (مركز عائلة أوقاسي)، وتم الوصول إليها في 2 أكتوبر، واقتحامها ودمرها بالكامل، وتم حرق مزارع ومطاحن بلقاسم أوقاسي بالقرب من مقلع[4].

وواصل الغزاة طريقهم نحو مركز جمعة صهاريج، وقبل أن يصلوا إلى وجهتهم، جاء وفد من الشخصيات البارزة للتفاوض على الاستسلام لتجنب تدمير قريتهم. وفي 6 أكتوبر اعتقد اللواء كومان

---

[1]- محمد سي يوسف، مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي، ثورة بوبغلة، دار الأمل للنشر والتوزيع تيزي وزو، 2000، ص 60.

[2] - أصبحت تسمى Le camp du Maréchal

[3] - محمد الصغير فرج، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، تعريب موسى زمولي، منشورات تالة الجزائر، 2007، ص ص 77- 78.

[4] - زيدين قاسيمي، قيادة سيباو (تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي). دار الأمل 2009، ص 158.

أن مهمته قد اكتملت، فعاد إلى دلس وأحرق قرية أعفير وسلب 1400 رأس من الأغنام في الطريق. بعد ثلاثة أيام من عودته إلى دلس في 8 ماي، شرع في مهمة أخرى، حيث قاتل آث واقنون وإفلسن البحر لكنه هُزم بسبب وعورة التضاريس ومقاومة السكان المحليين. تمكن جنود بلقاسم أوقاسي بمساندة آث جناد وإفليسن البحر من صد كتيبة العدو، حيث طاردوها حتى ضواحي دلس.

وعند سماع بيجو بهذه الهزيمة قرر شن عملية كبيرة. ففي 22 أكتوبر رست سفن بيجو بميناء دلس، وفي 25 أكتوبر زحفت قوات الاحتلال نحو عرش آث واقنون، وأمام هذا الوضع، قرر زعماء القبائل والشخصيات المؤثرة الاستسلام، بعدما شاهدوا قوة العدو واستحالة المقاومة. كان بيجو راضيا لهذه النهاية وقرر على الفور تعيين قادة جدد على آث جناد وإفليسن البحر[1].

وفي 23 جويلية 1845، قام بيجو بحملة ثانية إلى سيباو لدعم جنود اللواء جونتيل (Gentil) انتقل بنفسه إلى وادي سيباو لتقديم الدعم، وأقام معسكرا بواد ستيتا؛ وفي 26 جويلية شن هجومًا على آث عيسى ميمون، متابعا سياسة الأرض المحروقة. ونتيجة لذلك استسلام عرش آث واقنون في 27 جويلية، واضطر بن سالم الذي كان مقَيما عند أهالي آث عيسى ميمون، إلى الانسحاب واللجوء إلى آث يراثن. ووجه بيجو انذرا إلى آث يراثن هددهم بالانتقام إذا استمروا في دعم بن سالم وبلقاسم أوقاسي بعدها غادر إلى الجزائر[2].

انتهت الحملة في 22 فيفري 1846، وفي جانفي 1847 اجتمع زعماء القبائل لبحث مستقبل المقاومة، فأقروا وقف القتال والاتفاق على إجراءات الاستسلام. وفي 28 فبراير 1847، ذهب بن سالم إلى سور الغزلان وسلم نفسه للمارشال بيجو[3]، أما بلقاسم أوقاسي عيَنه بيجو على قيادة أعظم عشائر جرجرة[4].

في عام 1851، أطلقت قوات الاحتلال عدة حملات إلى مناطق مختلفة من جرجرة بهدف إخضاعها، بما في ذلك حملة اللواء كوني (Cuny) وحملة اللواء بليسييه(Pellissier)، بالتعاون مع اللواء كامو (Camou)، ضد معاثقة في 28 أكتوبر 1851. في نفس الوقت، وتم إرسال اللواء كوني إلى سوق الخميس في نوفمبر من نفس العام، حيث نجحت القوات في اختراق جبال جرجرة للمرة الأولى.

---

[1] - محمد الصغير فرج، مرجع سابق، ص ص81- 82

[2] - محمد الصغير فرج، مرجع سابق، ص ص83- 84

[3] - Settar Ouatmani, Quelques réflexions sur la résistance de la Kabylie à la conquête française (1830-1857). **Revue des Archives d'Outre-mer**, Ultramarines, n° 24, 2004, p 5

[4] - محمد الصغير فرج، مرجع سابق، ص 89

عندما تولى راندون[1] الحكم العام في 11 ديسمبر 1851، أصدر أوامر بمهاجمة الثورة في جرجرة مع التركيز على إخضاع القبائل[2]. كانت هذه الأوامر تأتي في إطار مخطط لاستكمال احتلال الجزائر بشكل آمن، وكان احتلال جرجرة والصحراء أولوية بالنسبة لراندون[3]. وكان قد وضع خطة لحملة عرضها على وزير الحرب بمجرد تعيينه حاكما عاما على الجزائر. وكان من المقرر أن تتم الحملة في عام 1852، ولكن تم تأجيلها مرتين لأسباب مختلفة[4].

بدأت سلسلة من الحملات العسكرية على أجزاء من منطقة القبائل بين دلس وبجاية في جوان 1854، وتم الاستيلاء على سوق سبت في 16 جوان، مستعينا بفرقتي الجزائر العاصمة وقسنطينة، وهذا على رغم من التضاريس الصعبة لآث بوشعايب وآث يحي، ذو الأهمية الاستراتيجية، مما يسمح بمراقبة جميع الاتجاهات وكان نقطة انطلاق مهمة للاحتلال كل منطقة قبائل جرجرة[5].

في عام 1855، شهدت المنطقة مناوشات بين الأطراف المتصارعة دون نتائج ملموسة، وأدرك راندون أنه لا يمكن السيطرة على المنطقة بدون وجود قاعدة مجاورة دائمة. ووقع اختياره على تيزي وزو[6].

1.2 حملة 1857:

في شهر مارس 1856، أرسل الحاكم العام راندون اللواء دو تروفيل (De Trouville) إلى تيزي وزو يحمل تعليمات للواء دليقني (Deligny). في هذه التعليمات، ذكر راندون لدليقني أن هدفه الرئيسي هو احتلال منطقة القبائل بأكملها. ونقل مقر دائرة من تيزي وزو إلى دلس، وأصبحت منطقة عمراوة تمثل دائرة تيزي وزو[7].

---

[1] - الكونت جاك لويس سيزار ألكسندر دي راندون (1795- 1871):حاكم عام الجزائر (1851-1858) كان وراء احتلال منطقة القبائل سنة 1857

[2] - Augustin Bernard, Histoire des colonies françaises et de l'expansion de la France dans le monde. T 2, L'Algérie, Paris, 1930, pp 320-321

[3] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان 1992، ص 351.

[4] - محمد الصغير فرج، مرجع سابق، ص ص 100-101

[5] - Bergrugger. A, Les époques militaires de la Grande Kabylie, Alger, Bastide Libraire-éditeur, 1857, pp 41-42

[6] - محمد الصغير فرج، مرجع سابق، ص 110

[7] - نفسه، ص ص 124- 125

في بداية شهر ماي 1857، نظم راندون قوة غزو جديدة في تيزي وزو لاحتلال منطقة قبائل جرجرة. أرسل ثلاثة فيالق بقيادة ماكمهون (Mac Mahon)[1] ورونو (Renault) ويوسف (Yusuf). في 18 ماي، تمركزت هذه القوات في موقع تقاطع واد عيسي وسيباو، في انتظار إشارة بدء الهجوم على عرش آث يرثن. قاد راندون بنفسه العملية وحدد يوم 24 ماي، يوم عيد الفطر، لشن الهجوم. وفي نفس اليوم سقطت ساحة آث يرثن. وفي يوم 14 جوان[2] وضع راندون حجر الأساس لحصن منيع لإثبات وجود فرنسا في المنطقة، وسماه حصن نابليون (Fort Napoléon)[3]. وصرح لجنوده بمايلي: "نعم، أيها السادة، هذا الحجر...، الذي سيرتفع عليه الحصن، سيكون رمزا لغزونا لمنطقة القبائل. ... بمعونة الله، أيها السادة سنواصل عملية الغزو والتهدئة،وحملة عام 1857 ستكون واحدة من أجمل الصفحات في تاريخ الجيش الأفريقي"[4].

وفي 29 جوان، هاجم العدو إشريضن، وفي 30 جوان، سقط خط الدفاع الثاني في أقمون إيزم واستسلم عرش آث يرثن. لم تصمد أي مقاومة أمام تقدم قوات راندون، وأجبر أهالي آث يني وآث منقلات وآث بودرار على التخلي عن أسلحتهم. تم اعتقال سي الصديق بن أعراب، واضطر سي الجودي وسي الحاج أعمر قائد المقاومة إلى الاستسلام في 8 جويلية[5].

في 10 جويلية 1857، قاد القادة الثلاثة جيشًا كبيرًا لاحتلال عرشي "آث إتسوراغ وإيليلتن". تم أسر لالا فاطمة نسومر والنساء والأطفال الذين كانوا معها، وأجبروا على دفع غرامة مالية وقبول بعض المواقع العسكرية في إقليمهم. في قلب جرجرة، في 11 جويلية 1857، استسلمت قبيلة "آث مليكش"، وفي نفس اليوم استسلمت قبيلة آث إيتسوراغ وإيليلتن وإيلولا، وقبيلة آث زكي وفي 13 جويلية استسلمت قبيلة آث يجر[6].

2. المقاومة المسلحة في منطقة قبائل جرجرة:

قادت منطقة القبائل المقاومة ضد الاحتلال في وقت مبكر جدًا، وكان بلقاسم أوقاسي من حوض سيباو من أوائل المقاومين. كان شجاعًا وطموحًا، مما جعله مؤهلاً لقيادة المقاومة في تلك الفترة.

---

[1]- باتريس دو مكماهون: حاكم عام الجزائر 1864- 1870

[2]- اختار يوم 14 جوان يوم نزول القوات الفرنسية بسيدي فرج

[3]- مزيان سعيدي، السياسة الاستعمارية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871-1914)، رسالة دكتوراه، السنة الجامعية 2008-2009، جامعة الجزائر. ص ص 64-65.

[4] -Randon. M, Mémoires du Marechal Randon, Tome premier, Typographie Lahure, Paris, 1875, pp 329-330.

[5]- محمد الصغير فرج، مرجع سابق، ص 129

[6]- مزيان سعيدي، مرجع سابق، ص ص 64 - 65

قاد قبيلة عمراوة العليا من حوض سيباو وتعاون مع زعيم قبيلة فليسة، الحسين بن زعموم، في معركة الرغاية في 04 مايو 1837 ضد القوات الفرنسية.

في 26 أوت 1837، بعد التخطيط والترتيب الجيدين، شن القائدان هجومًا آخر، وهاجما مواقع عسكرية فرنسية في ضواحي الجزائر العاصمة والبليدة. وصلت قوات الحسين بن زموم إلى سهول البليدة، مما أثار الذعر بين المعمرون الذين طلبوا المساعدة من القوات الفرنسية لحمايتهم.

على الرغم من تكرار هجمات المقاومة وهزيمة القوات الفرنسية عدة مرات، نجحت قوات المارشال بيجو في التقدم نحو سهول سيباو. ومع ذلك، بقيت هذه المنطقة واحدة من القليلة التي لم تسقط تحت سيطرة الاحتلال في شمال الجزائر. وقاد بلقاسم أوقاسي حملة ناجحة في أفريل 1844[1].

1.2 مقاومة بوبغلة 1850-1854:

وصل الشريف بوبغلة أو محمد الأمجد بن عبد الملك إلى منطقة القبائل بين عامي 1847 و1849 وكان قادما من الغرب. وفقا لروبان (Robin) دخل إلى سور الغزلان (Aumale) حوالي عام 1849 وأخذ يزور القرى والأسواق، وكان في الأربعين من عمره عندما بدأ المقاومة[2].

1.1.2 المرحلة الأولى 1850-1853:

واصل دعايته بدعوة إلى الجهاد في سوق الثلاثاء بقبيلة آث إيجر في ديسمبر 1850. وكان تأثير خطابه كبيرا، فسارعت قبائل آث يجر، إيتسوراغ ، إيلولا، آسيف الحمام وإليلتن لدعمه[3]. فذكر فيرو (Feraud) في مقال بعنوان " Notes sur Bougie. Époque contemporaine": "شيوخ المنطقة ومرابطها سارعوا لدعمه والتعهد بالبيعة لنصرة كلمة الله وطرد الاستعمار. وقد تحالف طلبة زاوية سيدي إدريس مع بو بغلة وأظهروا حزمًا في دعم قضيته. *تجمعوا في مجموعات من 5 أو 6 أعضاء حيث نشروا فكرة الثورة، من خلال استغلال المشاعر الوطنية والديمقراطية وروح الاستقلال. وطرح الدوافع الدينية فتلقوا المال والمؤن لحليفهم*"[4].

---

[1] - زيدين قاسيمي، مرجع سابق، ص ص 156- 157

[2] - Robin C, Histoire du Cherif Bou Bar'la, Ed. Adolphe Jourdan, Alger, 1884, p. 25

[3] - Settar Ouatmani, op. cit, p. **7**

[4] - Feraud Charles, Notes sur Bougie. Époque contemporaine, **Revue africaine**, Nº. 18, 1859, p 446

واصل جهوده في الترويج من خلال زياراته ورسائله التي كان يرسلها إلى القبائل. وفيما يلي مثال على خطابه الموجه إلى سكان آث صدقة: "أيها المسلمون، فور وصول رسالتي إليكم، اجتمعوا جميعًا لدعم من يحمي الدين، محمد بن عبد الله بو سيف، ونصره الله[1].

وقد نجح يوم 01 مارس 1851 في تحقيق انتصار على عدد من خصوم أعوان الفرنسيين فاستغل ذلك من أجل تنظيم جبهة داخلية، وعين أربعة قواد من آث مليكش لقيادة كتائبهم وهم: الحاج علي ناث أودية، وأحمد أوسالة والحاج دحة، والحاج محي الدَين[2]. اعترف الماريشال راندون بأنه، سبب الكثير من المتاعب للجنرالين بوسكي (Bosquet) وكامو لأنه نسج علاقات بين مختلف الزوايا، إذ أنه لم يتردد في نشر الوعي وتوحيد الصفوف ضد الاستعمار الفرنسي. وقد ساعدت عدة عوامل، منها شخصيته المتشبعة بالقيم الدينية وقدراته النفسية والروحية على إثارة القبائل ونجح في إحياء روح الجهاد في المنطقة الواقعة بين دلس وبجاية.

في عام 1852 تراجع إلى جرجرة، حيث سجل الشعر الشعبي المحلي ظاهرة الاحتلال ومقاومة بوبغلة منذ أن حطَ رحاله بايلولة ثم بآث يجر، وبعدها بعزازقة، وبآث جناد. خاض سي الجودي، الذي كان الساعد الأيمن لبوبغلة، عدة معارك في منطقة وادي سيباو ، قبل أن يتفاوض مع الفرنسيين بين 15 و19 أبريل 1852. ثم أصبح باشاغا على قبائل سيباو التي كانت تضم واضية وأهل أقدال وآث بثرون وآث واسيف وآث يني وآث عطاف، وأقبيل وآث منقلات وآث بويوسف وآث يحي.

في أفريل 1852، اضطر بلقاسم الأوقاسي إلى التراجع نحو تامدة، وواصل بوبغلة حشد القبائل والتحريض على الجهاد حتى بدأت حشودهم تهدد مقر بلقاسم أوقاسي في تيزي وزو، مما سمح لسلطات الاحتلال بفرض حصار على المنطقة من جميع الجهات. أرسل وولف (Wolf) وكامو أكثر من 5167 مشاة و800 فارس من الغرب، بدءاً من اليسر باتجاه الشعوفة وجمعة الصهاريج. لم تسر الحرب على ما يرام بسبب مساعدة سي جودي للفرنسيين واستسلام قبيلة آث صدقة التي كانت تدعمه بشكل أساسي في الماضي[3].

[1] - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 346

[2] - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، الجزء الأول، ثورات القرن التاسع عشر الطبعة الثانية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996، ص 104

[3]- زيدين قاسيمي، مرجع سابق، ص ص 162- 163

استمر بوبغلة في التنقل من قرية إلى أخرى، محاولًا جمع المؤيدين والأتباع، حتى اشتبك في 19 جوان 1852 مع قوات بوبريط (Beauprêtre) بآث مندس واضية، مما أدى إلى إصابته في رأسه[1].

ومع مطلع عام 1853، قررت السلطات الفرنسية غزو جبال جرجرة بقوات أخرى إضافية فجهزت فرقتين كبيرتين: الأولى إلى واد الساحل والثانية إلى قلب جرجرة. ونجح كامو وسي الجودي في استمالة 29 شخصية من رؤساء وزعماء السكان وإقناعهم بالعمل مع القوات الفرنسية. وفي شهر جوان استسلم 13 من رفاق بوبغلة، وخلال هذه سنة 1853.

2.1.2 المرحلة الثانية 1853-1854:

ففي شهر مارس 1854 هاجم بوبغلة، محمد أوقاسي في حوض سيباو، ونجح في استمالة آث جناد إليه، تمكن من إشعال نار المقاومة من جديد في عزازقة، مما اضطر الباشاغا بلقاسم أوقاسي أن يذهب بنفسه إلى العاصمة لطلب نجدات ومساعدات، وأرسل النقيب وولف، بفرقة من الجند. في شهر أفريل اصطدم بقوات بلقاسم أوقاسي، وشن الضابط وولف هجوما على عزازقة الذين يقيم بوبغلة عندهم وعلى آث جناد، آث غوبري، الذين يقدمون له المساعدة. ونجح في عد عدة معارك.

لما عمت ثورة بوبغلة منطقة القبائل جندت قوات كبيرة أعدها راندون خلال شهر ماي 1854 وقرر أن يقودها بنفسه إلى بلاد القبائل على أن يتولى القوات المجهزة في قسنطينة ماكماهون، ويتولى رئاسة القوات المجهزة بالجزائر العاصمة الجنرال كامو، وتتلقى كلها في تيزي وزو[2] .

تصادم الجيش الفرنسي مع المجاهدين من قبائل آث منقلات وآث يرثن وآث يني وآث عيسى. وحقق الفرنسيون انتصارًا تلو الآخر ووصلوا إلى مرتفعات جرجرة وأخضعوا معظم القبائل (آث منقلات آث يجر، إتسوراغ، إلخ). وقعت المواجهة الأولى ضد القوات الفرنسية بقيادة الجنرال كامو في 1 جويلية 1854 في قرية الساحل المعروفة بدعمها المادي والبشري لبوبغلة واستجابة سكانها للمقاومة التي قادها هذا الأخير، على الرغم من سياسة الأرض المحروقة التي اتبعتها سلطات الاحتلال. وفي قرية ثاوريرث (غير بعيدة عن آث يجر) اشتبك المجاهدون مع قوات الاحتلال بقيادة الجنرال ماكماهون، في 2 جويلية قاموا بتدمير المنازل بواسطة المدفعية وإلقاء الناجين في وادي الساحل[3].

---

[1]- تلمساني بن يوسف، الاحتلال والتوسع الفرنسي في الجزائر 1830-1870، الجزء الثاني، منشورات دار قرطبة المحمدية، الجزائر، 2021، ص 240

[2] - يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص ص 118- 119

[3] - زيدين قاسيمي، مرجع سابق، ص ص 167-168

وفي يوم 06 نوفمبر 1854 غادر بوبغلة آث يني، ومر بقرية ورجة وتوقف لدى لالا فاطمة النسومر، ومن هناك اتجه إلى آث مليكش، وأخذ يسعى لتنظيم عملية استسلامه. ولكن في 26 ديسمبر 1854 قتل بوبغلة في آث مليكش، على يد قايد تازمالت القايد لخضر بن الدراجي[1]، وهذا ما كتبه روبان في مقال عن ظروف مقتله في مقال بعنوان "صدر بالمجلة الإفريقية: "قبض عليه القايد ورجاله على الفور وعلى الرغم من توسلاته للسماح له بالعيش، قتلوه وقطعوا رأسه"[2].

لقد قاوم لمدة خمس سنوات جعل بلاد القبائل خلالها مقبرة للعديد من ضباط الجيش الفرنسي وجنوده المرتزقة، كما جعل السكان يتدربون على المعارك التي ما زالوا سيواجهونها ضد العدو[3].

2.2 مقاومة لالا فاطمة النسومر 1855-1857:

هي سيد أحمد فاطمة ولدت حوالي عام 1830 بقرية ورجة، بعرش آث بويوسف، وهي ابنة الشيخ محمد بن عيسى ينهي نسبها إلى سيدي أحمد أومزيان الذي كان مقدما للطريقة الرحمانية[4]. يذكر إيميل كاري في كتابه "Récits de Kabylie, compagne de 1857" بأن عائلتها كانت قوية ولها نفوذ في المنطقة وهذا ما كتبه عن أخيها سي طاهر: "لالة فاطمة، المتنبئة عائلة هذه الكاهنة المسلمة تحظى باحترام كبير منذ قرون: فأخوها المرابط كان دائما من أشد المدافعين عن حريات القبائل وعلى عكس عادات المرابطين، شارك في جميع المعارك التي خاضوها ضد النصارى، وهو شيخ يقظ وشجاع ووطني وحكيم، يستشيره الجميع، وهو من أشد المدافعين عن حريات القبائل".

كما تطرق إلى الثروة والقداسة والقوة الروحية التي تنفرد بها "لالا" فاطمة النسومر: "إن ثروة لالا-فاطمة وعائلتها كبيرة. إن قداسة المتنبئة معروفة في كل مكان...، فهي تعرف كيف تعالج كل الأمراض وتدرأ كل الأخطار، وتستطيع إذا شاءت أن ترد الغزو الفرنسي"[5].

تتميز لالا فاطمة بالتدين العميق والذاكرة القوية جداً، حيث حفظت القرآن الكريم وهي صغيرة عن طريق سماعها لما يردده الأطفال في مدرسة أبيها من آيات قرآنية. بعد وفاة أبيها، قررت أن تتولى رعاية

---

[1] - يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 120

[2] -Robin.C, Notes et documents concernant l'insurrection de 1856, 1857 de la Grande Kabylie, **Revue africaine,** N. 231, 1898, Bulletin de la société historique algérienne, p 311.

[3] - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص ص 350- 351

[4] - يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 130

[5] - Carrey. E, Récits de Kabylie, compagne de 1857, Michel Lévy frères, Libraires-éditeurs, 1858. p 269

الفقراء والأطفال. اشتهرت في المنطقة بتقواها وذاكرتها القوية وحكمتها وذكائها الحاد. تتمتع بشخصية قوية وترفض الاضطهاد من أي شخص[1].

وبعد وفاة والدها، تولى أخيها سي الطيب شؤون العائلة. وعندما بلغت لالا فاطمة 16 عاماً رفضت العديد من الرجال ذوي الجاه والنفوذ، ولكنها وافقت على الزواج من يحي ناث بوخولاف دون استشارتها. تمت مراسيم الزواج بسرعة وحسب العادات والتقاليد.

بسبب الظروف الصعبة التي مرت بها، اختارت لالا فاطمة الاحتماء بالتصوف والعمل على رأس زاوية ورجة عازمة منها أن تجعلها مركزاً إشعاعياً. قضت وقتها في العبادة والتعمق في الدين وعلومه، وكان شيخها الحاج أعمر داعمًا لها في هذا المجال.

شعرت لالا فاطمة بالعزلة عن الناس، وكانت تزعجها نظراتهم إليها، خاصة النساء. لذا قررت مغادرة مسقط رأسها والانتقال إلى قرية سومر حيث يعيش أخوها الأكبر سي الطاهر، الذي اشتهر بالعلم والصلاح. هناك بدأت حياتها في الاستقرار النفسي. تأثرت بأخيها الذي كان متعلماً في مختلف العلوم الدينية والدنيوية، مما جعله يصبح مقدمة للزاوية الرحمانية المنتشرة في المنطقة بشكل واسع. وهناك قررت أن تكرس وقتها للعبادة والعلم ومساعدة أخيها في خدمة المدرسة القرآنية. قررت الخلوة لفترة من الزمن للتفكير والتعمق في العلم. وبعد انتهاء فترة خلوتها، بدأت تقدم نصائحها وتعمل لصالح الأهالي حتى ذاعت شهرتها وزاد زوارها من الجنسين لاسيما من النساء.

لم تكن غافلة عن ما يحدث في بلاد القبائل، كانت تعلم بتقدم القوات الفرنسية بين عامي 1844 و1845 فوفقا للمصادر التاريخية، كانت على علم بانتشار القوات الاستعمارية في تيزي وزو بين 1845 و1846 وفي دلس عام 1847، كما كانت بمحاولة الجنرال راندون دخول الأربعاء ناث إيرثن في 1850 ومني بهزيمة نكراء. ولطالما أخبرت لالا فاطمة أتباعها أن الوقت قد حان للدفاع عن أرضهم وشرفهم وممتلكاتهم[2].

1.2.2 بداية المقاومة وعلاقتها ببوبغلة 1850- 1854:

[1] - بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1989، ج. 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 189

[2] - سيدي موسى محمد الشريف، مقاومة لالا فاطمة نسومر للاستعمار الفرنسي، كتاب جماعي: كفاح المرأة الجزائرية، درسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة،2007. طبعة خاصة بوزارة المجاهدين ص 34-35.

حوالي عام 1849، اتخذت الخطوات الأولى ضد الفرنسيين من خلال جمع الأموال للشريف سي الهاشمي. وبعد سنوات قليلة، قدمت نفس الدعم للشريف بو بقلة وشجعت أنصاره على الانضمام إلى المقاومة[1]. وتذكر ملحة بن إبراهيم في مقالها بعنوان "Fadhma N'Soumeur" المنشور في كتاب "Hommes et Femmes de Kabylie"، فوضت جماعة قرية سومر سي طاهر ولالا فاطمة لقيادة المسبلين الذين جاؤوا من جميع مناطق قبائل جرجرة (آث إسوراغ، إيليلتن، آث يرثن إيلولة أومالو...) [2].

عندما تم تعيين راندون حاكما عاما للجزائر بتاريخ 11 جويلية 1851، جاءته الأوامر من باريس لمحاربة الثوار في بلاد القبائل وحتى في الصحراء، لكن الشريف بوبغلة كان له بالمرصاد، إذ أظهر مقاومة شديدة.

وفقًا لكتاب أوجين بيري "Les Français en Afrique, Récits algériens 1848-1886" أعجب بوبغلة بلالا فاطمة وخطبها من أخيها سي الطاهر. اقترح بوبغلة أن يدفع فدية لزوجها الأول مقابل تطليقها ولكنه رفض الاقتراح. حدث تقارب بين لالا فاطمة وبوبغلة. وأثناء معارك سنة 1854 وقع تقارب بين بوبغلة ولالا فاطمة. تصدا الاثنين للحملة الفرنسية على منطقة القبائل بتاريخ 07 أفريل 1854 وقعت معركة كبيرة في وادي سيباو بين بوبغلة ولالا فاطمة من جهة والجنرال الفرنسي وولف من جهة أخرى. انتصر المجاهدون وأظهروا شجاعة بارعة. أبدى راندون اندهاشه وطلب تعزيز قواته للقضاء على مقاومة المنطقة. أصيب بوبغلة بجروح خطيرة في هذه المعركة وكاد أن يسقط في الأسر لكن لالا فاطمة تدخلت وأسعفته. قالت له مقولتها الشهيرة: "لن تتحول لحيتك إلى تبن أبدًا، يا الشريف". وذُكر أن لالا فاطمة كانت ترتدي برنوسًا أحمر حتى تبرز وتظهر بين الجنود، وكانت تقف على ربوة مرتفعة محاطة بنساء القرية اللاتي يحرضن المجاهدين على الجهاد في سبيل الله، لتذكيرهم بوعد الله لهم كشهداء[3].

بعد وفاة الشريف بوبغلة، استمرت الثورة وخاضت العديد من المعارك ضد الجيش الفرنسي. واكتفت بضرب العدو من حين إلى آخر في شكل حرب عصابات، وقسمت جيشها إلى مجموعات صغيرة تهاجم في كل مكان. نتيجة للاستمرار هجمات فاطمة النسومر، ذاع صيتها على نطاق واسع وجذبت انتباه قوات الاحتلال بشكل متزايد. قرر الحاكم راندون تجميع جيش يضم أكثر من 35000 جندي، وبدأ بمهاجمة آث يرثن. تم فتح الطريق نحو سوق الأربعاء ناث يرثن، حيث تم إقامة حامية عسكرية دائمة.

---

[1] - الشريف محمد الهاشمي أو محمد بن عبد الله بوسيف المعروف ببومعزة، بعثه الأمير عبد القادر إلى بلاد القبائل عدة مرات منذ 1847. أنظر أبو القاسم سعد الله، ص 343

[2]-Malha Benbrahim, Hommes et Femmes de Kabylie, T1, ANA-YAS / Edisud, 2001, p 136

[3]- Perret. E, Les Français en Afrique, Récits algériens 1848–1886, Blond et Barral, Librairie-éditeurs, Paris, 1887, p 132.

تعرض عرش آث منقلات للهجوم مكماهون، وآث يني للهجوم يوسف، وتمكنا من السيطرة الكاملة على هذه المناطق. في مواجهة هذا التقدم، أطلقت لالا فاطمة نداء الاستغاثة في جميع الاتجاهات وانضمت إليها جميع القرى. عندما علم المارشال راندون بذلك، قاد قواته إلى هناك والتقى الطرفان في إشريضن يوم 10 جويلية 1857[1]، بحيث وقعت معركة عنيفة بين جيوش راندون ولالا فاطمة النسومر. فألقت خطابا على جميع المجاهدين. ومما جاء فيه: "الشعب جريح ومتعب، يحلم بالسلم والخلود إلى الهدوء والراحة ولكن لا يمكننا تجاهل الخطر الذي يهددنا، ... لأن الوقت في صالح أعدائنا، فقد تلقوا نجدات من الجنود والعتاد والسلاح. ومن دون شك إن كل ذلك من أجل أن يغزونا، لقد دخلوا بالسلاح ويجب أن نخرجهم بالسلاح"[2].

2.2.2 نهاية المقاومة واستسلام لالا فاطمة النسومر 11 جويلية 1857:

تمكنت قوات المارشال راندون، بعد استخدامها لسلاح المدفعية أن تنال استماتة المجاهدين في معركة 10 جويلية. فقامت مركزًا في هضبة تيمزقيدة، التي تطل على سومر ومنطقة إستوراغ مركز قيادة فاطمة النسومر.

وفي الجهة الشرقية لمركز قيادة لالا فاطمة، فقد قبع الجنرال ميسيا (Maissiat) الذي قدم من أقبو مرورا بشلاطة، فتعرض لهجوم من قبل أهالي آث إيليلتن، وإيلولة أومالو، وآث زيكي من أعلى ربوة شلاطة. وقصد تضييق الخناق على لالا فاطمة النسومر وعزل مقاومتها، وضع الجنرال ميسيا خطة استخدم فيها المدفعية لقصف ربوة شلاطة فأحكم قبضته عليها.

لقد تم إغلاق أبواب الدعم أمام المجاهدين الذين كانوا يحيطون بلالا فاطمة النسومر، بسبب التقدم الذي حققته القوات الفرنسية من الجهة الشرقية والغربية على حد سواء، فقررت أن تحمي النساء والأطفال الذين كانوا معها في المقاومة. فأمرتهم بالانسحاب إلى أقرب القرى إليها، انسحبوا إلى قرية ثخليجث آث عتسو[3].

في 11 جويلية وقعت معركة حاسمة في دوار إيليلتن وكان عدد الثوار الذين شاركوا في المعركة حوالي 7000 رجل وعدد من النساء يرافقن فاطمة النسومر، على الرغم من المقاومة الشديدة التي أبداها الثوار إلاّ أن الكفة رجحت لصالح الفرنسيين، وكانت نتائج المعركة تتمثل في طرح المفاوضات وتوقف القتال وفقًا لأربعة شروط أقرها راندون هي:

[1] - تلمساني بن يوسف، مرجع سابق، ص ص 247- 248

[2] - زيدين قاسيمي، مرجع سابق، ص 173

[3] - زيدين قاسيمي، مرجع سابق، ص ص 173- 174

1- رفض دفع الضرائب
2- خروج وبقاء القوات الفرنسية خارج القرى والتجمعات السكانية
3- عدم متابعة ومعاقبة قادة الثورة
4- حماية الأشخاص والممتلكات.

قاد المفاوضات راندون وسي طاهر، حيث تظاهر راندون بقبول الشروط لكنه أمر باعتقال الوفد الجزائري عند خروجه من المعسكر[1]. ولم يكتف بذلك بل أرسل النقيب فورشولت (Fourchault) إلى ملجأ لالا فاطمة يوم 11 جويلية وأسرها وعدد من النساء. وهكذا وصف كاري لحظة وصول لالا فاطمة بعد اعتقالها وأسرها: "كان وجهها موشوم على الطريقة البربرية، وكانت ترتدي البرنوس الفاخر ومغطاة بالمجوهرات بحركة متعجرفة، دفعت حراب الزواف جانبًا، وتقدمت بغطرسة، وتهديدًا تقريبًا. ثم فجأة عندما رأت سيدي طيب، اتخذت خطوة نحوه وألقت بنفسها بين ذراعيه... لبضع دقائق، نظر إليها الجنود والقبائل في صمت تبكي بشدة بجانب المرابط"[2]. أما البارون أوكابيتان في وصفها كتابه "Les Kabyles et la colonisation de l'Algérie" على النحو التالي: "كانت تعاني من زيادة الوزن للغاية. أظهرت الكثير من الكرامة في محنتها، ولم يرد أحد من قومها أن يتخلى عنها"[3].

ثم نقلت إلى معسكر ثيمزقيدا من قبل النقيب فورشولت وأورد إميل كاري: "بأن هذه الليلة كانت باردة ومظلمة والرياح الشمالية، وكان الضباب مشربًا برائحة الدخان. وعندما وصلت إلى المعسكر كانت القرى المحروقة تشتعل بالنيران على بعد مسافة مظلمة. وفي المعسكر، كانت الأضواء تضيء الأرض الصخرية غير المستوية بشكل غامض. وكان الحاكم العام يتحدث مع الضباط أمام خيمته، عندما وصل النقيب فورشولت مغطى بالغبار ومنهكًا من التعب، وانحنى أمام قائد الجيش وقال: "سيدي الماريشال سأحضر لك لا لا فاطمة ومائتي أسير".

وعندما التقى راندون بلا فاطمة النسومر، خاطب الحاضرين قائلاً: "سادتي، يشرفني أن أقدم لكم جان دارك جرجرة"[4]. وأمر بنقل حوالي 30 أسيرًا، بينهم 25 مجاهدة كانوا في حرس لالا فاطمة. وظلت لالا فاطمة في عزلة تامة في يسر لمدة 49 يومًا، قبل أن تنقل إلى بني سليمان وتوضع تحت الحراسة

[1] - تلمساني بن يوسف، مرجع سابق، ص ص 248- 249

[2] - Carrey. E, op.cit, p 280

[3] - Aucapitaine. H, Les Kabyles et la colonisation de l'Algérie, imprimerie Cerf, Paris, 1859, p 159.

[4] -Carrey. E, op.cit, p 282

الشديدة، وكان جميع الأسرى معها في الزاوية. وقضت هناك ست سنوات تفرعت خلالها للتأمل والعبادة حتى وفاتها في سنة 1863.

الخاتمة:

كان استسلام أحمد محمد طيب بن سالم، وتحالف الزعماء المحليين مع العدو، واغتيال بوبغلة واستسلام وإلقاء القبض على لالا فاطمة النسومر، إيذانا بنهاية فصل من فصول المقاومة المسلحة في منطقة القبائل. بسقوط جرجرة سنة 1857 تمت السيطرة على كامل شمال الجزائر.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992.
2- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1989، ج. 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
3- تلمساني بن يوسف، الاحتلال والتوسع الفرنسي في الجزائر 1830-1870، الجزء الثاني منشورات دار قرطبة المحمدية، الجزائر، 2021.
4- زيدين قاسيمي، قيادة سيباو (تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي). دار الأمل، 2009.

5- سيدي موسى محمد الشريف، مقاومة لالا فاطمة نسومر للاستعمار الفرنسي، كتاب جماعي: كفاح المرأة الجزائرية، درسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة،2007. طبعة خاصة بوزارة المجاهدين.

6- محمد الصغير فرج، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، تعريب موسى زمولي منشورات تالة الجزائر، 2007، ص ص 77- 78.

7- محمد سي يوسف، مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي، ثورة بوبغلة، دار الأمل للنشر والتوزيع تيزي وزو، 2000.

8- مزيان سعيدي، السياسة الاستعمارية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871-1914)، رسالة دكتوراه، السنة الجامعية 2008-2009، جامعة الجزائر.

9- يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، الجزء الأول، ثورات القرن التاسع عشر الطبعة الثانية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996

10- Aucapitaine. H, Les Kabyles et la colonisation de l'Algérie, imprimerie Cerf, Paris, 1859.

11- Augustin Bernard, Histoire des colonies françaises et de l'expansion de la France dans le monde, T 2, L'Algérie, Paris, 1930.

12- Bergrugger. A, Les époques militaires de la Grande Kabylie, Alger, Bastide Libraire-éditeur, 1857.

13- Carrey. E, Récits de Kabylie, compagne de 1857, Michel Lévy frères, Libraires-editeurs, 1858.

14- Feraud Charles, Notes sur Bougie. Époque contemporaine, **Revue africaine**, N°. 18, 1859.

15- Malha Benbrahim, Hommes et Femmes de Kabylie, T. 1, Edisud, 2001.

16- Perret. E, Les Français en Afrique, Récits algériens 1848–1886, Blond et Barral, Librairie-Editeurs, Paris, 1887.

17- Randon. M, Mémoires du Marechal Randon, Tome premier, Typographie Lahure, Paris.

18- Renard. A, Histoire de l'Algérie, Librairie Hachette et C^{ie}, Paris, 1910.

19- Robin C, Histoire du Cherif Bou Bar'la, Ed. Adolphe Jourdan, Alger, 1884.

20- Robin. C, Notes et documents concernant l'insurrection de 1856, 1857 de la Grande Kabylie, **Revue africaine,** N. 231, 1898, Bulletin de la société historique algérienne.

21- Settar Ouatmani, Quelques réflexions sur la résistance de la Kabylie à la conquête française (1830-1857). **Revue des Archives d'Outre-mer**. Ultramarines, n° 24, 2004.